



النصوص القرآنية بين قصديّة المرسل ومقبوليّة المتلقي

د. عبد الكريم محمد قاسم القعطبي

جهة النشر جامعة الملكة أروى

copyrights©2016

النصوص القرآنية بين قصدية المرسل ومقبولية المتلقي

د. عبدالكريم محمد قاسم القعطي

استاذ اللسانيات المساعد

كلية الآداب, جامعة إب.

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تناول النصوص القرآنية بين قصدية المرسل ومقبولية المتلقي, وفكرة هذا انطلقت من خلال طرح بعض الأسئلة وهي:

1- هل يمكن استعمال مصطلح التناص أو التفاعل النصي عند دراسة النص القرآني, من خلال المعايير النصية؟

2- هل يتعدى التحليل النصي إلى دراسة كيفية إيقاع المعايير وخصوصية تحققها ودرجة حضورها في ضوء نظرية الاتصال بين قصدية المرسل ومقبولية المتلقي؟

3- هل هناك خصوصية لمعيار القصدية؟ ومن ثم ما نسبة المقبولية عند المتلقي في النصوص القرآنية؟.

4- أين تقع الجهود التي قام بها علماء العربية القدامى في ميزان اللسانيات النصية؟.

حاول الباحث في هذا البحث أن يجيب عن الأسئلة المطروحة بحيادية وموضوعية, وأن يتحرى الدقة قدر المستطاع, وقد استعان الباحث بالمنهج النصي, وهو منهج من مناهج البحث اللغوي واللسانيات الحديثة, بغية الوصول إلى الحقيقة, وبحكم طبيعة الموضوع.

وقد توصل الباحث في هذا الموضوع إلى عدد من النتائج, أهمها:

1- كشفت الدراسة عن خصوصية استعمال التناص, أو التفاعل النصي عند دراسة النصوص القرآنية, وقد التقى هذا الاستعمال مع طريقة التفسير بالمأثور عند المفسرين.

2- أكدت الدراسة أن تحقق معايير النصية في أي تشكيله لغوية من السهولة بمكان ولكن إيقاعها حسب المطالب الاتصالية يعد أمراً صعباً ونادراً, لا يتحقق إلا في النصوص العظيمة الخالدة التي تتعدد فيها طاقات الإبداع والتعبير.

3- أظهرت الدراسة خصوصية معيار القصدية في النصوص القرآنية نظراً لتنوع سياقاتها وقدسيتها مصدرها, وأيضاً تنوع المقاصد في هذه النصوص إلى مقاصد دينية واجتماعية ونفسية وبيانية.

4- أظهرت الدراسة ارتفاع نسبة المقبولية عند المتلقي في النصوص القرآنية, نظراً لتعدد الطاقات الإبداعية فيها, وقدسيتها مصدرها.

5- كشفت الدراسة عن موقع الجهود التي قام بها علماءنا القدامى في ميزان اللسانيات النصية, فأظهرت وعيهم بكثير من القضايا النصية, التي التقت معها شتى المعايير التي أقرها المحدثون للنص.

- المقدمة:

تشهد الدراسات اللغوية توجهاً نحو دراسة النصوص بشكل لافت تحت ما يعرف بعلم لغة النص أو علم النص أو نحو النص Text grammar , وهو علم جديد ذو وسائل بحثية مركبة, تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة, ينظر إلى النص بشمولية التحليل من جميع جوانبه التركيبية والدلالية والاتصالية والسياقية... الخ.

واحتلت النصية مكاناً مرموقاً في الدراسات اللسانية, فهي تسعى إلى تحديد وسائل بناء النص, وآليات انسجام الخطاب واتساقه, وتحقيق التماسك النصي بين وحدات الأبنية اللغوية¹ وشهد العصر الحديث نشأة نظرية لسانية وهي (نظرية النص Text Theorie)² أو علم لغة النص.³

وتؤكد هذه النظرية ضرورة وضع منهج خاص في تحليل الخطاب, والعناية بدراسة بنية النصوص, ووضع قواعد انتاج النصوص وتمييزها, والنظرة الكلية الشمولية للنصوص عن طريق ربط النص ومكوناته اللغوية بعناصر خارجية تعرف بـ (التداولية)⁴؛ إذ تتحكم في انتاج النص عدة عمليات لغوية ونفسية اجتماعية ومعرفية تشكل من معنى الأجزاء وحدة منسجمة قائمة على قواعد تركيبية ودلالية وتداولية معاً؛ لذا اصبح النص بنية كبرى شاملة, ولا تتحقق الدلالة الكلية إلا بالرؤية الشاملة للنصوص, ومن ثم لاقت المعايير التي اشترطها العالمان؛ دي بوجراند Deaugrand و دريسلر Dresslar لإطلاق صفة النصية على تشكيلة لغوية ما- اهتماماً واسعاً من الباحثين, بيد أن النظرة الكلية الفاحصة لمعظم الدراسات التي تناولت هذه المعايير في النصوص المختلفة, تكشف لنا عدداً من الملاحظ, وقد أشار إليها د. فتحي اللقاني⁵, أهمها غلبة طابع الرصد والإحصاء والتقليد على هذه الدراسات حتى صار همٌ كثير من الباحثين- في الغالب- رصد بعض مظاهر السبك والحبك, كأنهم يملؤون استمارات أو يسجلون بيانات دون وعي بطبيعة التحليل النصي أو الثقات لإمكانية الدور الذي يمكن أن يقوم به هذا النوع من التحليل في تفسير الطاقات التعبيرية والإبداعية في النصوص, ثانيها: استغراق كثير من الدراسات في مقولات علماء النص الغربيين دون توظيف التراث أو إفادة منه, وكان لهذا الاستغراق تأثيره السلبي, الذي أصابها بشكل من أشكال القطيعة المعرفية التي اصطدم بها القارئ العربي, مما جعله يعرض عن هذا اللون من الدراسات.

ولهذا اخترت هذه الدراسة والتي تحمل عنواناً بـ:

النصوص القرآنية بين قصدية المرسل ومقبولية المتلقي فالقصد لغة يدور "حول الاعتزام والتوجه والنهود والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جَوْر"⁶.

والقصد في الاصطلاح يلتقي مع هذا المعنى كأحد معايير النصية الجوهرية حيث "يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً, يتمتع بالسبك والالتحام, وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينه للوصول إلى غاية بعينها"⁷.

إذاً ينبغي لمن يتعرض لدراسة معيار القصدية ألا يغفل الإشارة إلى النظرية التداولية, لأنه نبع منها, ويتصل اتصالاً مباشراً بها. فالتداولية Pragmatics تختص بـ "دراسة اللغة في الاستعمال In use أو

في التواصل In Interaction؛ فصناعة المعنى تتمثل في تداول Negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي وصولاً إلى المعنى الكامل في كلام ما)⁸. وترتكز التداولية في دراستها للغة على نظرية الأفعال الكلامية التي تعد من أبرز وأهم مجالاتها. ويعد "أوستين" J. Austin, و"سيرل" R. Searle, و J. L., و"جرايس" H.P. Greice, رواداً للتداولية بشكل عام ولنظرية الأفعال الكلامية بوجه خاص.

وخلاصة هذه النظرية أن المتكلم يستطيع أن ينجز حدثاً ما من خلال المنطوق اللغوي، فحينما يقول الأب لأبنائه أوصيكم بتقوى الله، فقد أنجز من خلال هذا المنطوق فعل الوصية، وحينما يقول المعلم لتلميذه احرص على التفوق؛ فقد أنجز فعل الأمر، وحينما يحكي الطفل لأمه ما جرى له أثناء ذهابه المدرسة، فقد أنجز فعل الإخبار... وهكذا ويطلق على الأحداث التي تتجزأ هذه المنطوقات أحداثاً لغوية أو أفعالاً كلامية.

وإذا كان معيار القصدية يتضمن موقف المؤلف من النص، فإن معيار المقبولية "يتضمن موقف مستقبل النص، إزاء كون صورة ما من صور اللغة، ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام."⁹

"والمقبولية في المعنى الواسع رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب"¹⁰، وهذه الرغبة لا تأتي من فراغ، فهي تعتمد أولاً على كفاءة القارئ، وخلفيته المعرفية والثقافية، وكذلك خلفيته الدينامية، والهدف من القراءة وزمانها ومكانها، والحالة النفسية المصاحبة لها.. إلخ.

ومن خلال ما سبق، وبناء على الفكرة السابقة يطرق الباحث العديد من الأسئلة منها:

1- هل يمكن استعمال مصطلح التناص أو التفاعل النصي عند دراسة النص القرآني، من خلال المعايير النصية؟

2- هل يتعدى التحليل النصي إلى دراسة كيفية إيقاع المعايير وخصوصية تحققها ودرجة حضورها في ضوء نظرية الاتصال بين قصدية المرسل ومقبولية المتلقي؟

3- هل هناك خصوصية لمعيار القصدية؟ ومن ثم ما نسبة المقبولية عند المتلقي في النصوص القرآنية؟.

4- أين تقع الجهود التي قام بها علماء العربية القدامى في ميزان اللسانيات النصية؟. وقد اخترت النصوص القرآنية مجالاً للدراسة لأسباب منها:

أولاً: تتصف النصوص القرآنية بخصائص تركيبية ودلالية وسياقية، تميزها عن غيرها من النصوص. ولا شك أن دراستها في ضوء نظريات النص، تكشف عن خصوصية الأشكال والوسائل التي يتحقق بها التماسك في هذا النوع من النصوص، كما تكشف عن مظاهر الإعجاز اللغوي فيها.

ثانياً: لم تدرس النصوص القرآنية دراسة نصية في الدراسات اللغوية الحديثة، التي تتيح إطاراً أرحب للبحث والدراسة، كون من تناولوها بالدراسة حول بيان معانيها البلاغية والنحوية ويظل هذا تناول محصوراً في تفسيرات جزئية. فمثلاً قوله تعالى "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

وَيُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ" [89 النحل], وقوله " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " [2, يوسف], وتعد هذه الآيات وغيرها مؤشرات صريحة لمقاصد النص القرآني.

- منهجية الدراسة:

بهدف تحقيق اهداف الدراسة وفروضه, تم الاعتماد على المنهج النصي, الذي يعتمد على وصف معايير بناء النصوص باعتبارها وحدات دلالية, ثم ينطلق إلى تحليل أبنية النصوص ببيان أوجه الربط النحوي والمعجمي, ثم بيان أوجه الترابط الدلالي الداخلي والخارجي معاً, وتحليل السياقين اللغوي والمقامي, والإطار الاجتماعي الذي أنجزت فيه. وفي أثناء هذه المعالجات, ألجأ إلى الاستقراء أحياناً للتدليل على خصوصية معينة في النصوص أو تعميم نتيجة.. إلخ, وقد ألجأ إلى المقارنة إذا ما تعلق الأمر بتقسيم النصوص حسب طريقة بسطها إلى قصصي أو وصفي أو جدلي. ومن ثم فهو منهج شامل, يجمع بين الوصف والتحليل والاستقراء والمقارنة. وبما أن الموضوع كبير فإن الباحث سوف يقتصر على ذكر أمثلة فقط, ويحاول معالجتها وقت الإجابة على الأسئلة المطروحة.

المبحث الأول:- القصديّة في النصوص القرآنيّة

تمهيد: إمّ القصد أو الهدف من إنشائه- الذي يعد جزءاً من سياق الموقف.

يوجه البنية التركيبية للنص(السبك), والبنية المضمونة له(الحبك), إلى ذلك أشار "كلاوس برينكر" حيث قال:(إن اختيار الوسائل اللغوية(الجانب النحوي) وبسط موضوع أو موضوعات نص ما(الجانب الموضوعي) يوجه توجيهاً تواصلياً, أي يحدده القصد التواصلي للباحث وعوامل الموقف الاجتماعي أيضاً.¹¹

وقد أوضح "برينكر" ذلك فقال:(وفي إطار منظور برجماتي خاص بنظرية الفعل الكلامي لم يعد يظهر النص على أنه تتابع جملي مترابط نحويّاً, بل على أنه فعل لغوي معقد يحاول المتكلم أو الكاتب أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع السامع أو القارئ).¹² ومن ثم فقد حددت "الوظيفة التواصلية خاصة الفعل لأي نص".¹³

أخذ "أوستن" يحلل الفعل الكلامي فرأى أنه مركب من ثلاثة أفعال تؤدي في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي وهي:-

1- الفعل اللفظي Locationary act:-

ويتكون من النطق بأصوات لغوية, ينتظمها تركيب نحوي صحيح, نتج عنه معنى محدد هو المعنى الحرفي أو الأصلي المفهوم من التركيب, وله مرجع يحيل إليه.

2- الفعل الغرضي أو الأنجازي Illocutionary act:-

ويقصد به ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال كالوعد والتحذير والأمر والنصح.... إلخ.

3- الفعل التأثيري perlocutionary act:-

ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب سواء أكان تأثيراً جسدياً أم فكرياً أم شعورياً.¹⁴

وقد أدرك "أوستن" أن الفعل اللفظي، لا ينعقد الكلام إلا به، وأن الفعل التأثيري لا يلزم الأفعال جميعاً. ومن ثمَّ كان الفعل الإنجازي عنده أهمها جميعاً، فوجه إليه همه حتى أصبح لبَّ هذه النظرية، نظرية الفعل الإنجازي أو النظرية الانجازية.¹⁵

وإذا كان النص قد اكتسب خاصية الفعل من خلال وظيفته التواصلية، مثله في ذلك مثل أي منطوق لغوي له خاصية إنجازيه، فإن النص لم يتخلَّ عن طبيعته الحرفية والتأثيرية أيضاً كأبي فعل كلامي.

ويمكن توضيح الجوانب الثلاثة من خلال النص القرآني الآتي:

قال تعالى " أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبِأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ " [البقرة، 214].
الفعل اللفظي أو المعنى الحرفي لهذا النص فهو "أظننتم أن تدخلوا الجنة ولم يصبكم مثلما أصاب الذين قبلكم، فقد أصابهم الفقر والمرض، وزلزلوا بكل ألوان المخاوف حتى استبطأوا النصر مع يقينهم به".¹⁶

وأما الفعل الإنجازي أو الوظيفي للنص، فيتمثل في استشارة وتوجيه الرسول (ص) ومن معه من الصحابة ومن تبعهم لحملهم على التحلي بالصبر والثبات، والاعتقاد بأن الابتلاء سنة كونية لكل المؤمنين قديماً وحديثاً.

أما الفعل التأثيري لهذا النص، فقد ظهر أثره مع نصوص أخرى بالطبع على نفس الرسول (ص) وهو المتلقي الأول له؛ فثبت، وتحمل الجوع والعطش حتى اصفر وجهه، وربط على بطنه الحجارة، وخاطب الصحابة به، وأخبرهم بعد أن أمرهم بحفر الخندق "بأنهم سيحصرون، وأمرهم بالاستعداد لذلك، وبأنهم سينتصرون"¹⁷، فصدقه الصحابة وآمنوا مما قال عقيدة وسلوكاً ظهر ذلك حينما وقع الحصار عليهم، وحدث الابتلاء الذي صوره القرآن بقوله تعالى " إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَرَلُّوا زَلْزَالًا شَدِيدًا " [11، الأحزاب].

وفي هذا التوقيت ظهر تأثير هذا المثل على نفوس المخاطبين به، فأما صادقوا الإيمان فثبتوا، وتحملوا الجوع والعطش والخوف، وكان الرسول (ص) أسوتهم في ذلك، وتذكروا هذا المثل وغيره من النصوص والأقوال فقالوا " وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا " [22، الأحزاب]، وأما المنافقون الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، فلم يثبتوا، ولم يتحملوا، ورسبوا منذ أول لحظة وقع فيها الابتلاء والحصار وقالوا " وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا " [12، الأحزاب] وأخذوا يتعللون بحجج واهية كقولهم " إِنَّ بَيُّوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا " [13، الأحزاب].

وقد ظهر تأثير هذا المقطع على المؤمنين على مدار التاريخ حينما تعرضوا لألوان شتى من الابتلاءات فصبروا، وتحملوا، وتمثلوا ما فعله الرسول (ص) والصحابة وكان هذا المثل وغيره من النصوص مصابيح تغرس فيهم معاني الصبر والثبات.

وفي ضوء ما سبق نستطيع القول بأن تحليل النصوص من منظور تداولي باعتبارها أفعالاً كلامية قد وسع من دائرة التحليل، وأضفى عليها حيوية وبعداً اجتماعياً مهماً؛ هذا البعد قد زاد من أهمية السياقات التواصلية التي قيلت فيها النصوص، كما أنه أعاد اللغة إلى مجراها الطبيعي الذي نشأت فيه وانحدرت منه ألا وهو المجتمع. وقد أكد "براون ويول" أهمية هذه النظرية عند تحليل النصوص فقالوا: (إن محلل الخطاب بإيجاز يعالج مادته اللغوية بوصفها مرونة "نصاً" لعملية حركية، استعملت فيها اللغة كأداة توصيلية في سياق معين من قبل متكلم أو كاتب للتعبير عن معانٍ وتحقيق مقاصد الخطاب).¹⁸ ونظراً لأهمية السياق في تحديد مقاصد النصوص، فقد دعا إليه علماءنا واعتبروه أحد معطيات التحليل النصي، فمثلاً دعا الزركشي إلى وجوب مراعاة السياق اللغوي فقال: (ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له)¹⁹، وبين الشاطبي أهمية مراعاة أسباب التنزيل فقال: (معرفة اسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران، أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال، حال الخطاب من جهة نفس المتكلم أو المخاطب أو المخاطب أو الجميع).²⁰

وفي ضوء هذين السياقين اللغوي والمقامي قسم العلماء النص القرآني إلى قسمين: الأول: القرآن المكي والثاني: القرآن المدني، واستنبطوا المقاصد الرئيسية لكل قسم، فالقرآن في المرحلة المكية يهدف إلى "بناء العقيدة الصحيحة في نفوس المخاطبين" وفي المرحلة المدنية يهدف إلى "تنظيم شؤون الحياة في ضوء العقيدة".

ونستنتج من ذلك أن طبيعة المجتمع المكي الذي كان يموج بألوان الشرك والوثنية، والقضايا التي دارت حولها السور المكية تعد من مؤشرات الإنجاز التي تساعد على استنباط القصد الرئيسي للنصوص المكية، وكذلك فإن طبيعة المجتمع المدني الذي ضم بالإضافة إلى المسلمين المنافقين اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب، والقضايا التي دارت حولها السور المدنية تعد من مؤشرات الإنجاز التي تساعد على استنباط القصد الرئيسي للنصوص المدنية.

ومن ثم يمكن استنباط قصدين رئيسيين في ضوء السياق الكلي للنص القرآني (اللغوي والمقامي) الأول: "إقناع المخاطبين بعقيدة التوحيد وتعبيدهم لله تعالى" والثاني: "هو تنظيم شؤون الحياة في ضوء العقيدة".

ويمكن تقسيم مقاصد النصوص إلى:-

1- المقاصد المباشرة: وهي المقاصد التي جاء التعبير عنها بصورة مباشرة من خلال مؤشرات الإنجاز وهي (التذكير والتفكير والاعتبار)، والملاحظ على هذه المقاصد أنها توجه المخاطبين إلى تدبر والتفكير فيها والاعتبار بما جاء فيها من عظات وعبر، ولذلك فهي مقاصد توجيهية لاستنباط مقاصد أخرى تقف وراء انشاء هذه النصوص، ويضاف إليها المقاصد التي نزل القرآن

من أجلها والتي عبرت عنها صراحة بعض الآيات, ومن هذه المقاصد (الهداية, الرحمة, الشفاء, البشارة, النذارة.. هلمجر).

ولتوضيح ذلك نستدل بهذه النصوص قال تعالى: (..وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [25, ابراهيم].

الهدف في هذا النص هو التذكير بينما نجد في نص آخر في سورة الحشر قوله تعالى: (..وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [21, الحشر].

الهدف في هذا النص هو التفكير, وأيضاً نجد في قوله تعالى: (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) [1, ابراهيم], وأيضاً قوله تعالى: (..وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89)) [سورة النحل], وفي قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [سورة يوسف], وتعد هذه الآيات وغيرها مؤشرات صريحة لمقاصد النص القرآني وهو الهدف من نزول القرآن الكريم.

2- المقاصد الضمنية: هي المقاصد التي تستنبط من مؤشرات الإنجاز غير الصريحة, كالسياق وطبيعة النصوص والموضوعات المقيس عليها, وبعض المؤشرات اللغوية الضمنية, أو هي المقاصد العميقة التي تختفي وراء المقاصد المباشرة, وقد عبّر عبدالقاهر الجرجاني عن المقاصد الظاهرة بـ "المعنى" وعن المقاصد الضمنية بـ "معنى المعنى" فقال: (تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة, وبـ "معنى المعنى" أن تعقد من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر)²¹, وتعد هذه المقاصد إلى:
أ- مقاصد أولية ونهائية:

القصد الأولي هو القصد المبدئي الخاص بكل نص في سياقه الذي ورد فيه, وهذا القصد يعد جزءاً من إدارة موقف كلي للوصول إلى القصد النهائي بالمخاطبين, ولذا يظل هذا القصد في دائرة الترغيب والترهيب, والتحبيب والتنفير... إلخ, أما القصد النهائي فهو الغاية أو الغرض الذي يقف وراء القصد الأول باعتبار أن (النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينه للوصول إلى غاية بعينها)²².

ويمكن توضيح ذلك في النص القرآني قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) [73, الحج] المتأمل في هذا النص وفي سياقه اللغوي والمقامي, يدرك أن القصد منه هو استثارة المخاطبين وتقديرهم بضعف الأصنام وعجزها... وهو قصد أولي لأنه يقود المخاطبين إلى نتيجة أو قصد نهائي هو أن الله هو الخالق والقوي ولذا فهو المستحق بالعبادة.

وكذلك نرى في قوله تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)) [النحل, 112, 113].

جاء هذا النص في سياق التهديد لقریش بسبب تكذيبهم للرسول (ص) يقول الرازي: (لما هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة, هددهم أيضاً بأفات الدنيا, وهو الوقوع في الجوع والخوف)²³.

وعلى هذا فالقصد الأولي لهذا النص هو إبلاغ المخاطبين من قريش قصة قرية كانت هذه عاقبتها تحذيراً وتهديداً لهم بسبب تكذيبهم للرسول (ص) أما القصد النهائي له فهو إقناعهم بالإيمان بالله وتصديق الرسالة.

والملاحظ هنا أن النص يعد جزءاً من خطة أو من إدارة موقف مع المخاطبين ويمكن أن نصل إلى هذه المقاصد المتدرجة من خلال مؤشرات الإنجاز باستخدام أداة الاستفهام (لماذا) كما يلي:

1- لماذا ضرب الله مثل القرية؟ القصد من خلال مؤشرات الإنجاز تهديد قريش وتحذيرها من عاقبة الكفر والتكذيب.

2- لماذا يهدد الله قريش؟ القصد من خلال مؤشرات الإنجاز إقناعهم بالإيمان وتعبيدهم لله تعالى. ومن ثم يمكن القول بأن المقاصد الأولية للنصوص القرآنية ضمنية، ولكن استنباطها يكون بصورة مباشرة من خلال ربط النص بالسياق اللغوي السابق وبمقامه الذي ورد فيه، ومن خلال النص ذاته.

ب- المقاصد الكلية:

القصد الكلي هو القصد الرئيسي والمحوري الذي تساق المفاهيم والأحكام وغيرها من النصوص، وهو قصد نهائي تخدم عليه المقاصد الأولية للنصوص، وتتفق مع المقاصد النهائية لها أيضاً، ويستتبط من السياق الكلي (اللغوي والمقامي) للنص القرآني:

وفي ضوء هذا السياق يمكن استنباط قصدين رئيسيين للنص القرآني هما:

الأول: إقناع المخاطبين بالعقيدة الصحيحة وتعبيدهم لله تعالى وهو خاص بالنصوص التي وردت في السياق المكي.

الثاني: تنظيم شؤون الحياة الداخلية والخارجية في ضوء العقيدة، وهو خاص بالنصوص القرآنية التي وردت في السياق المدني.

ومعنى ذلك أن النصوص القرآنية جاءت خادمة للقضايا والموضوعات التي وردت في هذين السياقين على النحو الآتي:

أولاً: بيان انسجام المقاصد الجزئية الأولية مع القصد الكلي النهائي في النصوص المكية نتأمل ما يأتي:

أ- فنجد أن المقصد الكلي للنصوص القرآنية المكية هو: إقناع المخاطبين بالعقيدة الصحيحة وتعبيدهم لله تعالى.

ب- أما المقاصد الأولية الجزئية للنصوص القرآنية المكية فيها المقاصد الأولية والمتمثلة بالآتي:

1- تقرير المخاطبين بإبطال عبادة الأصنام:- فالنصوص القرآنية التي وردت في هذه الوظيفة منها ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (99)) [الأنبياء 98, 99]. وأيضاً ما جاء في حوار سيدنا إبراهيم مع أبيه وقومه في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ....) [الأنبياء 52- 54]. وأيضاً في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: (قَالَ

أَفْتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67)) [الأنبياء 66, 67], وأيضاً في قوله تعالى: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) [الحج, 30], وهناك نصوص أخرى تؤدي هذه الوظيفة يمكن الرجوع إليها.²⁴

2- ذم الكفار ومعبوداتهم: من النصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في قوله تعالى: (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) [الرعد, 14], وقوله تعالى: (قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الأنبياء, 54], وأيضاً في قوله تعالى: (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) [الزمر, 38]. وقوله تعالى: (يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (12) يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَالْيُسُوسُ الْعُشَيْرُ (13)) [الحج, 12-13] وهناك نصوص أخرى لا يسع المقام ذكرها يمكن الرجوع إليها.²⁵

3- التهديد والتحذير من عاقبة التكذيب والكفر وتثبيت قلب النبي (ص)؛ فالنصوص التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة النحل في قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (113)) [النحل, 113]. وقوله تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلُوبٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)) [النحل, 127-128] وقوله تعالى: (وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) [الأسراء, 74]²⁶ وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [الحج, 57].

4- التحذير من عاقبة الشرك: فالنصوص التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة الحج في قوله تعالى: (حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [الحج, 31].

5- تقرير المخاطبين بالقدرة الأهلية على الخلق والأمانة والبعث: من النصوص التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة ياسين في قوله تعالى: (قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس, 79] وقوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزمر, 67].

6- ذم اتباع الهوى والانحراف عن الفطرة السليمة: فالنصوص التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة الجاثية في قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَتَخَذَ إِلَاهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [الجاثية, 23].

7- الترغيب في الجنة والترهيب من النار: من النصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة الجاثية في قوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمْ يَكُنْ آيَاتِي تَنْتَلِي عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ) [الجاثية 30, 31]. وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (13) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (14))
[الأحقاف 13, 14] وقوله تعالى (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا
بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) [الأحقاف 34].

8- الترهيب من الدنيا والترغيب في الآخرة: النصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في
سورة يونس في قوله تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ... فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا
كَأَنَّ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ...) [يونس، 24]، وقوله تعالى: (وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) [الرعد، 26] وقوله تعالى: (وَاصْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ
السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا)
[الكهف، 45]. الترغيب في الآخرة في قوله تعالى (بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ
وَأَبْقَى (17)) [الأعلى 16, 17].

الملاحظ على النصوص القرآنية المكية أنها قامت بعدة وظائف أولية متنوعة، منها: استشارة
المخاطبين وحملهم على الإقرار ببطلان الشرك وعبادة الأصنام، واستثارتهم للإيمان بقدرة الله على الخلق
والاماتة والبعث، ومنها الترغيب في الإيمان والحق والترهيب من الكفر والباطل، ومنه مدح المؤمنين وذم
الكافرين، ومنها التهديد والتحذير من عاقبة التكذيب بالنبي (ص) والرسالة ومنها الترهيب من الدنيا
والترغيب في الآخرة... وهكذا.

وكل هذه المقاصد وغيرها تصبُّ في قصد كلي رئيسي ونهائي هو: إقناع المخاطبين بعقيدة التوحيد
وتعبيدهم لله تعالى.

ثانياً: بيان انسجام المقاصد الجزئية الأولية مع القصد الكلي النهائي في النصوص المدنية تتأمل ما
يأتي:

أ- القصد الكلي للنصوص القرآنية المدنية هو: تنظيم شؤون الحياة الداخلية والخارجية في ضوء
قضايا العقيدة.

ب- المقاصد الأولية الجزئية للنصوص القرآنية المدنية فلها المقاصد الأولية والمتمثلة بالآتي:

1- ذم المنافقين والكفار واليهود وضياع اعمالهم ونفقاتهم والتحذير منهم: فالنصوص القرآنية التي
أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ (9)) [البقرة 8,9]، وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [آل عمران 116].²⁷

2- اثبات الوجدانية والقدرة في خلق عيسى عليه السلام:

من النصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة آل عمران في قوله تعالى: (إِنَّ مَثَل
عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [آل عمران 59]، وقوله تعالى: (وَمَا مِنْ
إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران 62].

3- استئارة المخاطبين لتدبر القرآن: من النصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة الحشر في قوله تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضُرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر، 21].

4- مدح الرسول (ص) وأصحابه: من النصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة الفتح، قال الله تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ...) [الفتح 29].

5- الترغيب في الجنة والترهيب من النار: فمن النصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة محمد في قوله تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) [محمد 15].

6- الترغيب في الإيمان واتباع أوامر الله: من النصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة التحريم في قوله تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [التحريم 11].²⁸

7- ذم الدنيا الفانية ومدح الآخرة الباقية: من النصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة الحديد في قوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَقَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [الحديد 20].

8- التحذير من الغيبة: فالنصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة الحجرات في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ وَإِنْفُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) [الحجرات 12].

9- الترغيب في الإنفاق في سبيل الله والإخلاص فيه والتحذير من المن والأذى وعدم الإخلاص: فالنصوص التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (262) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) [البقرة 262-263].²⁹

10- التحذير من أن النسب والقرباة لا تنفع في وجود الكفر: من النصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة التحريم في قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ) [التحريم 10].

11- حث الرسول (ص) ومن معه من المؤمنين على الصبر والثبات: من النصوص القرآنية التي أدت هذه الوظيفة ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرَزُلْوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [البقرة 214].³⁰

وباستقراء النصوص السابقة نستنتج أن المقاصد الجزئية للنصوص القرآنية المدنية تصب في قصد رئيسي هو: تنظيم شؤون الحياة الداخلية والخارجية وربطها بالعقيدة وقضايا الإيمان؛ ولذلك كشفت للمسلمين عن صفات المنافقين والكفار واليهود والنصارى؛ كي يحذروهم ويحذروا عقيدتهم الفاسدة التي تضع الأعمال والنفقات، وفي المقابل مدحت الرسول (ص) وحثهم على الصبر والثبات ورغبتهم في الإنفاق والإخلاص، واتباع أوامر الله وحذرتهم من الرياء والنفاق والغيبة... وهكذا.

إن النصوص القرآنية المدنية جاءت خادمة لقضايا التشريع في المجتمع، فذم الدنيا الفانية ومدح الآخرة الباقية كما جاء في قوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ..) [الحديد، 20]، وجاء في سياق الحث على الأنفاق في قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) [الحديد، 11]، وجاء في سياق الحث على عدم قتل الأولاد في قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً إِمْلَاقٍ..) وقوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ..)، وهكذا.

كما أنها جاءت استجابة لطبيعة المجتمع الذي تتعدد فيه نفوس المخاطبين، فالخطاب الأول كان للأغنياء لأنهم خافوا الفقر ولهذا جاء نص الآية (خشية أملاق)، أما الثانية فكان الخطاب للفقرى ولهذا جاء نص الآية (من إملاق) أي من الفقر، إذاً هناك المسلم قوي الإيمان، وضعيف الإيمان، والمنافق، ويجاور هذا المجتمع طوائف من اليهود والنصارى مشركي العرب من أجل ذلك سيقت النصوص القرآنية، لتؤدي وظائف متنوعة، تمدح تارة، وتذم أخرى، فترغب تارة وترهب أخرى... وهكذا. بهدف إنجاز القصد الكلي وهو إقامة مجتمع على أساس العقيدة.

ج- المقاصد البيانية:

تقوم النصوص القرآنية بوظيفة بيانية كبرى، حيث توضح الغامض الدقيق من المعاني، وتقرب البعيد الغائب حتى يصبح قريباً مشاهداً أمام العين والنفوس، وتجسد المعقول حتى يصير ملموساً مدركاً؛ والسبب في ذلك أنها تعتمد على التصوير والتمثيل والقياس في بنائها.

د- المقاصد الإعجازية:

الإعجاز يتضمن كل آيات النصوص القرآنية، وقد تحدى الله به العرب أهل الفصاحة والبلاغة في أكثر من موضع؛ ولذا يعد الإعجاز قصداً ضمناً من مقاصد القرآن الكريم.

ونلمس هذا الإعجاز في كيفية صوغها، وطريقة سبكها وحكها، وارتفاع درجة الإعلامية فيها، واعتمادها بشكل أساسي على التصوير والتمثيل الذي له دور كبير في نظم الكلام ونسجه، وقد صدق الجرجاني حينما شبه صياغة الكلام بصياغة المعادن النفيسة فقال: (ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، أن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب، يصاغ منهما خاتم أو سوار).³¹

• خلاصة:مما سبق نستنتج ما يلي:

يمكن تصنيف وظائف النصوص إلى وظائف دينية دارت حول قضايا العقيدة وأثرها في تنظيم شؤون الحياة، وقضايا الإيمان والكفر.. إلخ
وكان هدفها الرئيسي هو هداية الأنسان وبنائه. وظائف اجتماعية وإنسانية تمثلت في هدم مفاهيم كانت سائدة كالتكبر والاعتزاز بالدنيا... إلخ وغرس مفاهيم أخرى، تساعد على بناء المجتمع والحفاظ عليه. ووظائف نفسية، ترتبط بإثارة انفعالات المخاطبين تحببياً أو تنفيراً، ذماً أو مدحاً ترغيباً أو ترهيباً، تهديداً أو تأمينا.. إلخ، وهذه الانفعالات تعد مقاصد أولية تتعلق بالسياق التي وردت فيه، ولذا فهي تدفع المخاطبين إلى تبني قناعات معينة، تصب في المقاصد الرئيسية للنص القرآني.

المبحث الثاني: المقبولية في النصوص القرآنية
الإطار النظري التعريف بالمقبولية (Acceptability) سوف يكون هذا الإطار النظري أساساً
للكشف عن مظاهر المقبولية في النصوص القرآنية.
التعريف بالمقبولية:

(المقبولية بالمعنى الواسع رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب).³²
وهذه الرغبة لا تأتي من فراغ، فهي تعتمد أولاً على كفاءة القارئ، وخلفيته المعرفية والثقافية، وكذلك
خلفيته الدينامية³³، والهدف من القراءة وزمانها ومكانها، والحالة النفسية المصاحبة لها... إلخ.
وبما أنه لا يعقل أن يتفق القراء في الأمور السابقة وغيرها فإن القراءة تتعدد (ليس من خلال تعدد
القراء فحسب، بل من خلال قارئ واحد بعينه).³⁴
ومن مظاهر رغبة القارئ للمشاركة في الخطاب أن يقيم علاقة حميمة مع النص، هذه العلاقة،
تأخذ عدة أشكال منها: (التلاقي - والتداخل - والتفاعل - والحوار - والجدل، وتنتهي إلى وحدة الكيان
الموحد للنص).³⁵

ومن خلال هذه العلاقة أيضاً (يكتسب النص حياته من خلال المتلقي، إذ يفك شفرته ويستخرج ما
فيه من أفكار ومبادئ وجماليات، كما يملأ الفراغ الكامن بين عناصره).³⁶
إن النص الجيد هو الذي يقدم (للقارئ مفاتيح الإثارة فيأسره في حركته بحيث لا يغيب عنه منظور
الواقع بوصفه الوجه الآخر للحياة الذي لم يوجد من قبل).³⁷
ويمكن القول بأن هناك معايير خاصة باتصاف تشكيلة لغوية معينة بصفة النصية، يطلق عليها
المعايير التأسيسية، وهي: السبك، الحيك، ... وهكذا.

وهناك معايير أخرى خاصة لتعيين نوعية النص وتقويمه وبيان خصوصيته ويطلق عليها المعايير
التنظيمية أو التصميمية، وهي الجودة والفعالية والملائمة أما الجودة: Efficiency فتتبع عن استغلال
النص في الاتصال مع تحقيق أكبر مردود وأقل جهد بحيث تتوفر سهولة معالجة النص.³⁸
وأما الفعالية Effectively فتعني شدة وقع النص وتأثيره في مستقبل بحيث يتوافر عمق المعالجة
والإسهام القوي في تحقيق الهدف المنتج.

وأما الملائمة Appropriateness فيقصد بها تناسب مقتضيات الموقف مع درجة انطباق معايير
النصية على النص المدروس.³⁹

ومن هنا يتضح الأمر؛ فالمعايير التأسيسية عامة، وأما المعايير التنظيمية فهي معايير خاصة
وذاتية ووجودها صعب ونادر، لأنها تعتمد على طاقات النصوص وقدرات مبدعيها، وهذا أمر لا يتحقق
إلا في القليل النادر من النصوص ذات القيمة العالية والمكانة الخالدة. وقد أشار "دي بوجراند" إلى ذلك
فقال: (وهكذا يكون عدم السبك والالتحام والقصد والإعلامية... إلخ، ذا ندرة نسبية، ولكن النصوص
كثيراً ما تفقد كفاءتها أو تأثيرها أو ملائمتها).⁴⁰

ومن ثم لست العبرة بوجود باقي معايير النصية، كي تتحقق المقبولية لدى المتلقي، ولكن العبرة
بكيفية إيقاعها في النصوص.

وخلص القول أن المقبولية مسئولية القارئ والمبدع على السواء؛ القارئ بما لديه من امكانات ومهارات، يتسلح بها للدخول في عالم النص، والمبدع بما أبدعه في نصه من وسائل لغوية وبلاغية واسلوبية وغيرها، تثير القارئ، وتجذبه بما فيها من طاقات تعبيرية وتدفعه للدخول في عوالمها والكشف عن معانيها ودلالاتها.

• مظاهر المقبولية في النصوص القرآنية:

باستقراء نصوصاً قرآنية نجد أن المقبولية فيها قد ارتفعت وتعددت مظاهرها على النحو الآتي:

أ- من أهم هذه المظاهر في النص القرآني كثرة الخصائص اللغوية كإصابة المعنى وإيجاز اللفظ، وحسن التشبيه وجودة الكناية والغرابة إلخ.. ويعد هذا من مظاهر المقبولية التي تدفع القارئ إلى التفاعل معها والمشاركة فيها، وفي الوقت نفسه كان للنصوص القرآنية خصوصيات ميزتها عن غيرها من النصوص، فهي ابتداء من الله تعالى الخالق، وهذا أدى إلى قبولها والإقبال عليها، كما أنها لم تتقوّل في قالب واحد بل تنوعت في البنية والسياق وطريقة العرض.

ب- من خلال السبك والحك في النصوص القرآنية ارتفعت من خلالهما كفاءة هذه النصوص كما هو واضح في الربط النحوي والمعجمي والدلالي.

ج- أودع الله سبحانه وتعالى في النصوص القرآنية من الأبعاد الإنتاجية والطاقات الإبداعية ما يأسر المتلقي ويجذبه نحوها، ويدفعه إلى البحث عنها، ومحاولة الكشف عن أسرارها وفوائدها لذلك قال الله تعالى: (... وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) [العنكبوت 43] (... لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ). ومن خلال هذه الأبعاد والطاقات:

1- براعة الاستهلال في العرض: ومن الوسائل التي أدت هذه الوظيفة وأسرت المخاطبين هي:

أ- عدم ذكر المسند إليه من أول وهله، كما في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ... [النور 39].

الملاحظ أن هذا النص القرآني بدأ بـ (الذين كفروا) والمقصود (أعمالهم)، يقول ابن عاشور: (وجعل المسند إليه ما يدل على ذوات الكافرين؛ ثم بنى عليه مسند إليه آخر وهو أعمالهم، ولم يجعل المسند إليه أعمال الذين كفروا من أول وهله لما في الافتتاح بذكر الذين كفروا من التشويق إلى معرفة ما سيذكر من شؤونهم، ليتقرر في النفس كمال التقرر).⁴¹

ب- تأخير ما حقه التقديم، كما في قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ... [التحريم 10]، فأصل الترتيب (ضرب الله امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً للذين كفروا)، وقد عدل عن هذا الترتيب ليتصل بالمفعول الأول (امرأة نوح وامرأة لوط) ما هو إلا شرح وتفسير لحالهما.⁴²

نلاحظ أن هذا التأخير يأسر المتلقي، وقد بين الألويسي الأثر النفسي لهذه الوسيلة الاستهلالية فقال عند تفسير قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا) [النحل، 75]، (تأخير ما حقه التقديم مما يورث النفس شوقاً لوروده لا سيما إذا كان في المقدم ما يدعو إليه، كما هنا فيتمكن عند وروده فضل تمكن).⁴³

ج- هناك بعض التعبيرات والأساليب (كالنداء, والفعل المبني للمجهول, وفعل الأمر) في النصوص التي تؤدي هذه الوظيفة كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ...) [الحج 73]. فالملاحظ هنا أن النداء "يا أيها الناس", والفعل المبني للمجهول "ضرب", وفعل الأمر "استمعوا" كلها وسائل تحفيزية تدعو المخاطبين إلى تعقل المثل وبيان مغزاه.

د- استهلال النص بأساليب استفهام مثبتة كقوله تعالى: (أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ) [البقرة] أو منفية كقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) [البقرة], وقوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) [الفيل], وقد أشار ابن عاشور إلى المغزى من هذا الاستهلال فقال: (يقاظ للذهن ليرتقب ما يرد بعد هذا الكلام, فالكلام فيه تشويق, وصوغ التشويق إليه في صيغة الزمن الماضي الدال عليها حرف "لم" التي هي لنفي الفعل في الزمن الماضي, والدال عليها فعل "ضرب" بصيغة الماضي لقصد الزيادة في التشويق).⁴⁴

ولا شك أن هذه التعبيرات والأساليب لها بعد تأثيري وتشويقي قوي يهيئ المتلقي لاستقبال النص والإصغاء إليه, لأن النفوس أرغب في علمه وفيه التنبيه على أنه أمر محقق الوقوع .

2- إيثار التعميم في النصوص:

نلاحظ في هذا التعميم وسائل تعبيرية عامة منها الأسماء الموصولة التي يتكرر استعمالها وهي (الذي, التي, الذين, من, ما), واستخدام كلمات عامة مثل (قرية, أحلكم, رجلين, أصحاب الجنة... إلخ). ولا شك أن هذا التعميم يعد أحد مظاهر المقبولية في النصوص لأن تأثيره يكون أعمق وأوسع حيث يصرف أذهان المخاطبين إلى مضمون النصوص والمستفاد منها.

3- فاعلية التمثيل في التلقي:

أن الأثر النفسي الذي تحدثه المعاني بطريق التمثيل أبلغ من الأثر النفسي لها إذا جاءت مجردة, مما يؤدي إلى رفع نسبة المقبولية إلى أقصى حد ولكي ندرك هذه الحقيقة نتأمل المعنى مجرداً, وما يقابله بطريق التمثيل, في النماذج المذكورة في الجدول التالي:

المعنى بطريق التمثيل	المعنى بطريق التجريد
قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت 41]	1- الكفار ضعفاء استندوا إلى ضعفاء مثلهم
قال تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) [الكهف 45].	2- الحياة الدنيا قصيرة وزائلة

<p>قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة 261].</p>	<p>3- نفقة المؤمنين في سبيل الله تضاعف ويجزل الله لهم الأجر</p>
<p>قال تعالى: (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسِطٌ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) [الرعد 14].</p>	<p>4- الله يستجيب الدعاء وألهاة الكفار لا تستجيب أبداً</p>

إذا تأملنا تأثير المعنى في هذين الطريقتين، سنجد أن الأثر الذي يتركه المعنى بطريق التمثيل أبلغ تأثيراً في النفوس، والسبب في ذلك إذا نظرنا إلى استنباط المعنى في حال تجريده سنجد أنه سهل وميسور، ولا يحتاج إلى عمليات ذهنية يقوم بها العقل، ولكن درجة التأثير المترتبة عليه ضعيفة ولا سيما إذا كان المخاطبون منكرين لهذه المعاني، أما استنباط المعنى بطريق التمثيل فليس بالأمر السهل؛ أنه يحتاج إلى عمليات ذهنية يقوم بها العقل، تعتمد على تصور (الممثل له) وتصور (الممثل به)، ثم الوصول إلى وجه الشبه للمقارنة بينهما، ثم الحكم على (الممثل له) من خلال المعنى المستنبط، أي أن التدرج والتحليل والاستدعاء والمقارنة كلها عمليات ذهنية يحتاجها المتلقي، كي يصل إلى المعنى بطريق التمثيل.

ولا شك أن تأثير المعنى بعد كل هذه العمليات سيكون أعمق في نفس المتلقي وقد أشار الجرجاني إلى ذلك بقوله: (إن المعنى إذا أتاك ممثلاً فهو الأكثر، يتجلى لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له، والهمة في طلبه، وما كان منه أطف كان امتناعه عليك أكثر وإبائه أظهر واحتجاجة أشد، ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أجلي وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وأطف).⁴⁵

إن إدراك المعنى بالحواس أدعى إلى القبول والتأثير، وتزداد المقبولية إذا علم المتلقي صدق الخبر كما يقول عبد القاهر: (المشاهد تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر).⁴⁶ وتزداد المقبولية والتأثير كلما زادت الحواس التي يصل المعنى عن طريقها، انظر إلى عناصر الصور التمثيلية في الجدول السابق وهي (العنكبوت- بيت- ما أنزلناه- النبات- الهشيم- تذروه الرياح- حبة انبتت- سنابل- الرجل يبسط كفيه إلى الماء ولا يتمكن من إيصاله إلى فيه).

سنجد أن كل هذه العناصر يمكن إدراكها أو إدراك بعضها إبصاراً أو سمعاً، أو لمساً أو شماً أو تذوقاً. - وتظهر فاعلية التمثيل أيضاً عندما يأتي موجزاً في موضع، ومفصلاً في آخر، والممثل له واحد في الموضعين:

لاحظ المثالين الآتيين:⁴⁷

1- الموجز في قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ... [261, البقرة].

2- المفصل في قوله تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [265, البقرة].

الملاحظ في المثال الأول أنه جاء قصيراً موجزاً، أما المثل الثاني فقد جاء طويلاً مفصلاً وقد علل ابن عاشور ذلك بما يوضح دور التمثيل في التأثير على المخاطبين فقال: معقّباً على المثل الثاني: (ومثله فيما سلف تمثيلاً غير كثير التركيب لتحصل السرعة بتخيل مضاعفة الثواب، فلما مثل حال المنفق رثاءً بالتمثيل الذي مضى، أُعيد تمثيل حال المنفق ابتغاء مرضاة الله بما هو أعجب في حسن التخيل، فإن الأمثال تبهج السامع كلما كانت أكثر تركيباً، وضُمنت الهيئة المشبه بها أحوالاً حسنة، تكسبها حسناً ليسري ذلك التحسين إلى المشبه وهذا من جملة مقاصد التشبيه).⁴⁸

وخلاصة القول كلما زادت الهيئة المشبه بها تركيباً زادت معها قوة التمثيل تأثيراً على المتلقي. وقد أكد ذلك الجرجاني بأن التأثير الذي يتركه التمثيل في المخاطبين عندما يقدم المعنى في صورته إن كان مدحاً أو ذمّاً أو وعظاً.⁴⁹

ونستنتج مما سبق أن التمثيل من أهم الوسائل الفاعلة في التلقي، وذلك لأسباب عدة، منها أنه يدفع المتلقي إلى إعمال فكرة لاستنباط المعنى، كما أنه يغلب الجانب الوجداني على الجانب العقلي، ويخاطب الحواس والمشاعر، ويظهر تأثيره جلياً في سياقات المدح والذم حيث يؤدي إلى بسط وقبض المخاطبين.

4- انتقاء عناصر النص من بيئة المخاطبين:

لا شك أن انتقاء عناصر النص للمخاطبين بما يألّفونه وبما هو مائل في واقعهم أدعى للتأثير فيهم، انظر إلى تعليق ابو حيان على قوله تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ... [265, البقرة])، حيث قال: (وخصت بأن سقياها الوابل لا الماء الجاري فيها على عادة بلاد العرب بما يحسونه كثيراً).⁵⁰

5- تنوع جوانب التلقي في النص القرآني:

هناك نصوص ركزت على الجانب الوجداني ومخاطبة الحواس بالتلقي، وهي النصوص التي غلب عليها الطابع الوصفي، وهناك نصوص أخرى ركزت على الجانب العقلي عند المخاطبين وهي النصوص التي غلب عليها طابع الحجاج والجدل. كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ... [5, الحج])، وهناك نصوص ركزت في التلقي على جانبي العقل والوجدان معاً كما في النصوص التي غلب عليها الطابع القصصي.

نجد أن هذا التنوع في التلقي جاء مناسباً للقضايا المراد اثباتها للمخاطبين الذين تتباين مداركهم وأفهامهم، وهذا التنوع سمة في النص القرآني بصفة عامة. وعلى هذا يمكن القول أن تنوع طرق البسط في النصوص القرآنية زاد نسبة المقبولية فيها، لأنه وسّع من دائرة التأثير على المخاطبين.

• الخلاصة:

لقد ارتفعت المقبولية في النصوص القرآنية، وبلغت ذروتها، كما تعددت مظاهر المقبولية فيها وتتنوع، ويمكن تقسيمها إلى مظاهر خارجية ومظاهر داخلية، أما المظاهر الخارجية فتتعلق بقدسية المصدر، وهو الله سبحانه وتعالى الذي أشار إلى ذكرها في القرآن الكريم فقال: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ...) [58، الروم]، ودعا إلى التفكير فيها وتذكر معانيها والاعتبار بها، ورغب في فهمها وتعقلها في قوله: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) [العنكبوت] وتتعلق أيضاً بثقافة المخاطبين.

وأما المظاهر الداخلية فتتعلق بالتماسك التركيبي والدلالي في النصوص القرآنية، والوسائل والطاقت الإبداعية التي أودعها الله فيها، وهي كثيرة ومتنوعة، كبراعة الاستهلال في العرض، وفاعلية النص وملاءمته لبيئة المخاطبين، وعمومية التعبير، وتنوع جوانب التلقي، ومن ثم ارتفعت نسبة المقبولية في النص القرآني إلى أعلى درجة.

• الخاتمة:

بعد حمد الله أنجز هذا البحث، والذي كان يهدف بالدرجة الأولى إلى تفجير الطاقات الإبداعية والأبعاد الانتاجية في النصوص القرآنية، وذلك بالكشف عن معايير النصية فيها، وبخاصة معياري القصدية والمقبولية، وبيان فاعليتها، ودرجة حضورها، وخصوصية تحققها في هذا النوع من النصوص، وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- كشفت الدراسة عن خصوصية استعمال مصطلح التناص، أو التفاعل النصي عند دراسة النص القرآني، وقد التقى هذا الاستعمال مع طريقة التفسير بالمأثور عند المفسرين.
 - أظهرت الدراسة خصوصية معيار القصدية في النصوص القرآنية نظراً لتنوع سياقاتها وقدسيتها مصدرها.
 - كشفت الدراسة عن تنوع المقاصد في النصوص القرآنية إلى مقاصد دينية، واجتماعية ونفسية وبيانية وإعجازية.
 - أظهرت الدراسة ارتفاع نسبة المقبولية في النصوص القرآنية، نظراً لتعدد الطاقات الإبداعية فيها، وقدسيتها مصدرها وثقافة المخاطبين الدينية.
 - بينت الدراسة نسبة التلقي في النصوص بمختلف أنواعها، فالنصوص التي غلب عليها الطابع الوصفي ركزت على الجانب الوجداني في التلقي، والنصوص التي غلب عليها الطابع الجدلي ركزت على الجانب العقلي في التلقي، والنصوص التي غلب عليها الطابع القصصي ركزت على الجانبين معاً (الوجداني والعقلي).
 - أكدت الدراسة أن تحقق معايير النصية في أي تشكيله لغوية من السهولة بمكان، ولكن إيقاعها حسب المطالب الاتصالية يعد أمراً صعباً ونادراً، لا يتحقق إلا في النصوص العظيمة الخالدة التي تتعدد فيها طاقات الإبداع والتعبير.
 - كشفت الدراسة عن موقع الجهود التي قام بها علماءنا القدامى في ميزان اللسانيات النصية، فأظهرت وعيهم بكثير من القضايا النصية، التي التقت معها شتى المعايير التي أقرها المحدثون للنص، غير أنهم اهتموا بالجانب التطبيقي أكثر من الجانب التطويري، وانحصرت تحليلاتهم في أغلبها - على التفسيرات الجزئية والنواحي البلاغية والإعجازية في النصوص.
- وأخيراً أرجو من القارئ الكريم أن يتسع صدره لزلاتي أو هفواتي، فما قصدت إلا الصواب، وقد بذلت جهدي ليكون عملي صادقاً ومخلصاً لرب العالمين، بأن لا يحرمني الأجر في الدنيا والآخرة.

- ¹ ينظر: لسانيات النص, محمد خطابي, المركز الثقافي العربي, المغرب, ط1, 2006, ص 11-16.
- ² ينظر: نظرية النص, د. حسين خمري, الجزائر, ط1, 2007م, ص 131.
- ³ ينظر: علم لغة النص, د. سعيد بحيري, مؤسسة المختار, القاهرة, ط1, 2003م, ص 70.
- ⁴ المصدر نفسه, ص 95.
- ⁵ الأمثال القرآنية, د. فتحي اللقاني, دار الكتب المصرية, ط1, 2008م, ص 5.
- ⁶ انظر: اللسان 181/11, مادة قصد.
- ⁷ النص والخطاب والإجراء, ص 103.
- ⁸ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر, د/ محمود احمد نحلة, دار المعرفة الجامعية, 2002م, ص 13.
- ⁹ النص والخطاب والإجراء, ص 104.
- ¹⁰ علم النص- مدخل متداخل الاختصاصات, فاندايك, ص 114, وانظر أيضاً علم لغة النص النظرية والتطبيق, د. عزة شبل, ص 34.
- ¹¹ التحليل اللغوي للنص, ص 26-27.
- ¹² التحليل اللغوي للنص, برينكر, ص 25.
- ¹³ المرجع السابق, ص 25.
- ¹⁴ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر, ص 46, 68, وانظر مدخل إلى علم النص, زتسيسلاف, ص 21. وانظر التحليل اللغوي للنص, برينكر, ص 113.
- ¹⁵ التحليل اللغوي للنص, ص 69.
- ¹⁶ انظر معاني القرآن, للقراء, 132/1, تحقيق أحمد يوسف نجاتي, محمد علي النجار, دار الكتب المصرية, ط3, 1998م.
- ¹⁷ المحرر الوجيز, ابن عطية, 38/2.
- ¹⁸ تحليل الخطاب, بول وبراون, ص 27.
- ¹⁹ البرهان في علوم القرآن, ص 320.
- ²⁰ الموافقات, 294/3, 295.
- ²¹ دلائل الإعجاز, ص 263.
- ²² النص والخطاب والإجراء, دي بوجراند, ص 103.
- ²³ التفسير الكبير, الرازي, 127/19.
- ²⁴ من النصوص التي أدت هذه الوظيفة انظر سورة: (النحل, 73), (الروم, 21), (الزمر, 43).
- ²⁵ من النصوص التي أدت هذه الوظيفة انظر السورة: (العنكبوت, 41, 42), (يس, 17-32), (الأحقاف, 28).
- ²⁶ أيضاً من النصوص التي أدت هذه الوظيفة انظر سورة (النحل, 105).
- ²⁷ من النصوص التي أدت هذه الوظيفة انظر سورة: (البقرة, 264), (الحشر, 15, 16), (الجمعة, 5), (النور, 39, 40).
- ²⁸ ومن النصوص التي أدت هذه الوظيفة انظر إلى سورة: (النور, 35), (التحریم, 12).
- ²⁹ ومن النصوص التي أدت هذه الوظيفة انظر إلى سورة: (البقرة, 261, 264).
- ³⁰ من النصوص التي أدت هذه الوظيفة انظر سورة: (البقرة, 45, 46).
- ³¹ التفسير الكبير, 71/25.
- ³² علم لغة النص النظرية والتطبيق, د/ عزة شبل محمد, ص 34, مكتبة الآداب, ط1, 1428هـ, 2007م.
- ³³ انظر علم لغة النص, د/ سعيد بحيري, ص 149.
- ³⁴ علم لغة النص, د/ سعيد حسن بحيري, ص 144.
- ³⁵ علم لغة النص, د/ سعيد بحيري, ص 156, وانظر (القارئ في النص), د/ نبيله إبراهيم, مجلة فصول مجلده, 1984م, ص 104.

- ³⁶ انظر تفصيل ذلك في القارئ في النص، د/ نبيلة إبراهيم، ص 103, 104.
- ³⁷ المرجع نفسه، ص 102.
- ³⁸ هناك ترجمة اخرى لهذه المعايير للدكتور/ تمام حسان، وهي الكفاءة والتأثير والملائمة، انظر النص والخطاب والإجراء "دي بوجراند" ص 106.
- ³⁹ انظر مدخل إلى علم لغة النص، د/ إلهام أبو غزالة، ص 12.
- ⁴⁰ النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص 107.
- ⁴¹ التحرير والتنوير، 251/18.
- ⁴² روح المعاني، الألوسي، 162/28.
- ⁴³ روح المعاني، 242/14.
- ⁴⁴ التحرير والتنوير، 223/13.
- ⁴⁵ أسرار البلاغة، 139.
- ⁴⁶ أسرار البلاغة، 126.
- ⁴⁷ وانظر أيضاً مثاليين للحياة الدنيا؛ أحدهما موجز في سورة الكهف، 45، والآخر مفصل في سورة يونس، 24.
- ⁴⁸ التحرير والتنوير 50/3.
- ⁴⁹ من الأمثال التي تبرز دور التمثيل في بسط المخاطبين انظر: الرعد 35، إبراهيم 24، 25، النور 35، محمد 15، ومن الأمثال التي تبرز دور التمثيل في قبض المخاطبين انظر: البقرة 264، 266، آل عمران 117، الأعراف 175، 176، يونس 24، إبراهيم 26، العنكبوت 41، الحج 31، الكهف 45، النور 39، 40، الحجرات 12، ومن الأمثال التي تبرز التمثيل في البسط والقبض معاً: الأنعام 122، هود 24، الأعراف 58، الملك 22، ومعرفة القبض والبسط في المثل يكون على سبيل التغليب.⁵⁰ البحر المحيط: 668/2.

أولاً: قائمة المصادر والمراجع العربية:

- القرآن الكريم
- 1- الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني):
- المفردات في غريب القرآن، تحقيق مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة.
- 2- بكري عبدالكريم (دكتور): الزمن في القرآن الكريم، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1421هـ - 2001م.
- 3- تمام حسان (دكتور): اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، القاهرة، 1994م، وكتابه الآخر: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.
- 4- الجرجاني: (أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني ت 471هـ): أسرار البلاغة، علق عليه محمود شاکر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني بجدة، ط1، 1413هـ.
- دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود شاکر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط3، 1413هـ - 1992م.

- 5- جميل عبدالمجيد (دكتور): البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
- 6- ابن جني (ابو الفتح عثمان 392هـ): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1999م.
- 7- حسام أحمد فرج (دكتور): نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1428هـ-2007م.
- 8- أبو حيان الأندلسي (يوسف بن علي بن يوسف ت 745هـ): البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، 1412هـ-1992م.
- 9- حسين نصار (دكتور): إعجاز القرآن: الأمثال، الهيئة المصرية للكتاب 2002م.
- 10- الرازي: (الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر 604هـ): التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، ط3، 1985م.
- 11- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله ت 794هـ): البحر المحيط في أصول الفقه، حرره د/عبد الستار أبو غردة، دار الصفوة، القاهرة، 1992م
- البرهان في علوم القرآن-تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة 2006م، (مجلد واحد).
- 12- سعيد بحيري، (دكتور): علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات مؤسسة المختار، القاهرة، 2004م.
- دراسة لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة (د.ت).
- 13- الشاطبي (أبو أسحاق إبراهيم ابن موسى، الشاطبي ت 790هـ):
- الموافقات في أصول الشريعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهر، 2006م.
- 14- صبحي إبراهيم الفقي (دكتور):
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000م.
- 15- صلاح فضل (دكتور):
- بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992م.
- علم الأسلوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1985م.
- 16- ابن عاشور (الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ت 1393هـ):
- التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع (د. ت).
- 17- عباس حسن (الأستاذ): النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1976م.
- 18- عبد الرحمن حسن حبنكة: الأمثال القرآنية، دار القلم، بيروت، 1980م.

- 19- عزة شبل محمد (دكتور): علم النص بين النظرية والتطبيق, مكتبة الآداب, القاهرة, ط1, 2007م.
- 20- ابن عطية (القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت 546هـ):
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري, السيد عبد العال السيد إبراهيم, دار الكتاب الإسلامي, القاهرة, ط2, (د.ت).
- 21- الفراء (يحيى بن زياد عبدالله بن منظور الدليمي أبو زكريا الفراء, ت 207هـ):
- معاني القرآن, تحقيق أحمد يوسف نجاتي, محمد علي النجار, مطبعة دار الكتب المصرية, ط3, 2001م.
- 22- فتحي محمد اللقاني: الأمثال القرآنية, دار المحدثين, القاهرة, ط1, 2008م.
- 23- فريد عوض حيدر (دكتور): اتساق النص في سورة الكهف, مكتبة زهراء الشرق, القاهرة, 1425هـ - 2004م.
- 24- ابن كثير (الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير ت 774هـ):
- تفسير القرآن العظيم, بيروت, دار المعرفة للطباعة والنشر 1388هـ.
- 25- محمد بكر إسماعيل (دكتور): الأمثال القرآنية, دراسة تحليلية, مطبعة الأمانة, القاهرة, ط1, 1986م.
- 26- محمد خطابي (دكتور): لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط1, 1991م.
- 27- محمد العبد (دكتور): المفارقة القرآنية, دراسة بنية الدلالة, مكتبة الآداب, القاهرة, ط2, 2006م.
- 28- محمد عبدالوهاب عبداللطيف (دكتور): موسوعة الأمثال القرآنية, مكتبة الآداب, القاهرة, ط1, 1994م.
- 29- مصطفى النحاس (دكتور): نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب, منشورات ذات السلاسل, الكويت, الطبعة الأولى, 2001م.
- 30- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري, ت 711هـ):
- لسان العرب, دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر, بيروت, لبنان, ط3, 1999م.
- ثانياً المراجع الأجنبية المترجمة:
1- بروان ويول: تحليل الخطاب, ترجمة وتعليق د. محمد لطفي الزليطي, د. منير التركي, جامعة الملك سعود 1418هـ - 1997م.
2- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء, ترجمة د. تمام حسان, عالم الكتب, القاهرة, ط1, 1998م.

-
- 3- زتسيسلافواورزيناك: مدخل إلى علم النص, مشكلات بناء النص, ترجمة د/ سعيد بحيري, مؤسسة المختار, القاهرة, ط1, 2003م.
- 4- فاندايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات, ترجمة د/ سعيد بحيري, دار القاهرة, ط2, 2005م.
- 5- كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص, ترجمة د/ سعيد بحيري, مؤسسة المختار, القاهرة, ط1, 2005م.